نساء في الإسلام

* * *

فاطِمَةُ الزَّهْراء

رَضِيَ اللّٰهُ عَنها

نجلاء شوقي حسن

2

F

نساء فى الإسلام

فاطمة الزهراء

تأليف

نجلاء شوقى حسن

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى - الفجالة

تليفون :٥٩٠٨٩٢١

(٣)

فاطمة الزهراء

خرَجتْ شَيماءُ ووالِدَتُها من مسجدِ السَّيِّدةِ زَينب مَسرورَتَيْن ، بعد أن أدَّتا صَلاةَ العِشاءِ جَماعَة ، فتلكَ هي المَرَّةُ الأولَى الَّتى تَصحبُها فيها والِدَتُها للصَّلاةِ في المَسجِد .

سألتْ شيماءُ والِدَتَها : أَعلمُ يا أُمّى أنَّ السَّيِّدةَ زَينَب ـ رضِيَ اللّهُ عَنها ـ هى من بَيتِ رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ وهذا كلُّ ما أَعرِفُه عنها . فبنتُ من هِى يا أُمّى ؟

قالتْ والدَتُها : هى بنتُ سيِّدِنا عَلىٍّ بنِ أبى طالِب ـ رَضِىَ اللّهُ عنه ـ من زَوجَتِه السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ الزَّهراء ، بنتِ رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ وهذا يَعنى أنَّ

السَّيِّدةَ زَينَب ، هي حَفيدَةُ رَسولِ اللّه ، ورَسولُ اللّهِ جَدُّها .

قالتْ شَيماء : هلاّ حَكيتِ لى يا أُمّى قِصَّةَ حياةِ أُمِّها السَّيِّدةِ فاطِمَةَ الزَّهراء ، كيفَ عاشَتْ ومن تزوَّجَت ؟

قالتْ والِدَتُها : السَّيِّدةُ فاطِمَةُ الزَّهراء ــ رَضِىَ اللّهُ عَنها ــ هى سيِّدةُ نِساءِ العالَمين ، وأُمُّها هى أمُّ المُؤمِنينَ السَّيِّدةُ خَديجَةُ بنتُ خُوَيلِد ــ رَضِىَ اللّه عَنها ــ زوجةُ رَسولِ اللّه ــ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ــ وسيِّدةُ نِساءِ أهلِ زَمانِها . وُلدتْ السيدة فاطمة قبلَ البِعثَةِ المُحمَّديَّةِ بخَمسِ سَنَوات . ويُذكِّرُنا يَومُ مَولدِها بحادِثَةٍ جَرتْ فى مَكَّة ، كادتْ تُشعلُ الحربَ بينَ أهلِها بعضِهم وبَعض . وتَتعلَّقُ هذه الحادِثةُ بعَمليَّةِ تَجديدِ بناءِ الكَعبة ، إذ طغَى سيلٌ جارِفٌ على الكَعبةِ فصدَّعَ جُدرانَها ، وهدَّدها بالسُّقوط ، فقامتْ قُريشٌ بهَدمِها وإعادَةِ بنائِها من جَديد .

فلمّا تمَّ بِناؤها وأرادوا وضعَ الحَجرِ الأسْود ، اختَلفَ أشْرافُهم فيمَن يَقومُ بوَضعِهِ فى مَوضِعِه ، وتَنافَسوا فى ذلك واشتَدَّ خِلافُهم ، حتّى كادتْ تشُبُّ نارُ الحَربِ بينَهم ، فجرَّدوا السُّيوف ، ووقَفتْ كلُّ قَبيلَةٍ تتحدّى الأُخرى .

فقامَ أُميَّةُ بن المُغيرَة ، وكانَ أكبرَ النّاسِ سِنّا ، وخطبَ فيهم : لا تَختَلِفوا يا قَوم ، واجْعلوا حَكمًا يَقضى بينكم فيما تَختَلِفونَ فيه .

فقالوا : نكِلُ أمرَنا لأوَّلِ داخلٍ من بابِ الكَعبَة .

وفيما هم يَنتَظِرون ، إذ دخلَ من بابِ الكَعبَةِ مُحمَّد ــ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ــ وكانَ فى الخامِسةِ والثّلاثينَ من عُمرِه ، فاطْمأنّوا جَميعا إليهِ لِما يَعهَدونَ فيهِ من الأَمانةِ والصِّدقِ ورَجاحَةِ العَقل . وقالوا : هذا مُحمَّدٌ الأَمين . رَضيناهُ حَكمًا يَقضى بيننا .

وأخبَروه بما اخْتَلفوا فيه ، وطَلبوا منه أن يَحكُمَ بَينَهم .

ففكَّر مُحمَّدٌ بُرهَة ، ثم بَسَط رِداءَه على الأَرض ، ورفعَ الحجرَ الأسودَ ووضَعهُ فوقَ الرِّداء ، ثمَّ دَعا رُؤساءَ العَشائرِ أنْ يَأخُذَ كلٌّ مِنهم بطَرفٍ من أطرافِ الرِّداءِ الأربعَة ، ورَفعوهُ حتّى وَصلوا إلى المَكانِ الّذى سيوضَعُ فيهِ الحَجرُ الأَسوَد ، فرَفعه مُحمَّدٌ بيَديه ، ووَضعَه فى مَكانه .

وبهذا التّصرُّفِ الحَكيم ، انتهت المُشكِلةُ الّتى كادتْ تُؤدّى إلى إراقَةِ الدِّماء ، وانتشرَ الخبرُ فى أَنحاءِ مَكّةَ بعَودَةِ السَّلامِ بينَ أهْلِها ، وسُرَّ النّاسُ بحِكمَةِ مُحمَّدٍ الأمين .

ولّما عادَ مُحمَّدٌ إلى بَيتِه ، تلقّى خبرَ مَولِدِ ابْنَتِه فاطِمَة ، وكانتِ ابنتَه الرّابعَةَ وآخرَ أولادِهِ من السَّيِّدةِ خَديجَةَ بنتِ خُويلِد . وقد لُقِّبتْ بالزَّهراءِ لبَياضِ وَجهِها ، وما يَتلألأُ فيهِ من أنْوار . وكانتْ فاطِمةُ الزَّهراء ، كما تَصِفُها أمُّها أمُّ المُؤمِنينَ السَّيِّدةُ عائِشَة ، بقَولِها : ما رأيتُ أحدًا من خَلقِ

اللّه ، أشبَهَ بحديثِهِ وكلامِهِ برَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ من ابْنتِهِ فاطِمةُ الزَّهراء .

وكانَ رَسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ يقولُ عن فاطِمَةَ : (من أرضَى فاطِمةَ فقد أَرضَى اللّه ، ومنْ أغضَبَها فقد أغضَبَ اللّه . وإنَّ فاطِمةَ بِضعَةٌ مِنّى ، يَسرُّنى ما سَرَّها ، ويُغضِبُنى ما أغضَبَها) .

وهكذا تَمتّعت فاطِمةُ الزَّهراءُ بحُبِّ أبَويْها وأَخَواتِها ، وكانَ رسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ يَشمَلُها برِعايَتِه وحَنانِه ، حتّى تشبَّعتْ منذُ نُعومَةِ أظْفارِها بأخْلاقِ النُّبوَّة ، ونورِ الحِكمَة ، ومَكارِمِ الأخْلاق .

وقد أُصيبَت فاطِمةُ الزَّهراء ، في صِغَرِ سِنِّها بِما أصابَ المُسلِمينَ فى أثناءِ حِصارِ قُرَيشٍ لهم فى شِعبِ أبى طالِب ، من جوعٍ وألم ، كما شَهِدت الصِّراعَ القائمَ بينَ الحقِّ والباطلِ ، بينَ أبيها رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ

وبينَ كُفّارِ قُرَيش ، فرأتْ تَكذيبَهم لـه ، وقَسـوتَهم عَليـه ، مِمّا جعلَها تَبكى وتتألّم . وزادَ من بُكائِها وألَمِها وفاةُ أمِّها السَّيِّدةِ خَديجَة ـ رضِىَ اللّه عنها ـ فوجـدتْ نَفسَـها بعـدَ زَواجِ أخَواتِها زَينبَ ورُقيَّةَ وأُمِّ كُلثوم ثمّ مَوتِ أُمِّها ، أمـامَ مَسئولِيّاتٍ كَبيرَةٍ مَطلوبَةٍ مِنها نَحوَ أَبيها الرَّسول الكريـم ، وهـو يَمـرُّ بِظُـروفٍ عَصيبَـة ، لفَقـدِهِ أمَّ أولادِهِ وشَـريكَةَ حَياتِه ، ومُعاناتِه مّما يُلاقيهِ علَى أيدى كُفّارِ قُرَيش .

راحتْ فاطِمةُ الزَّهراء ، وهىَ أصغَرُ أخَواتِها ، تَقومُ على خِدمَةِ أَبيها ورِعايَتِهِ والتّخفيفِ عنه ، ورَسولُ اللّه ـ صلّـى اللّهُ عليهِ وسلّم ، يُغدِقُ عليها من حُبِّهِ وحَنانِه .

إلى أن هاجَرَ المُسلِمونَ من مكّـةَ إلى المَدينَـة ، واسـتَقَرّوا فيها بعدَ هِجرَةِ النّبىِّ وصاحِبِهِ أبى بَكرٍ الصِّديقِ إلى المَدينَة . وتَزوَّج الرَّسول ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ السَّـيِّدةَ عائِشَـةَ بنتَ أبى بَكرٍ الصِّديق ـ رَضِـىَ اللّـه عَنهـا ـ فتقـدَّمَ كِبـارُ

الصَّحابَةِ يَخطبــونَ إليـه السَّيِّدَةَ فاطمـةَ الزَّهـراء ، بعـدَ أن كانوا يُحجِمونَ عن طَلبِ يَدِها ، حيثُ كـانت تَقـومُ علـى خِدمَةِ أبيها ورِعايَتِه ، فاختارَ لها أبوها ابنَ عَمِّهِ الإمامَ علـيَّ بنَ أبى طالب . فلمّا ذهبَ رسولُ اللّهِ إلى فاطِمــةَ الزَّهـراءِ لِيُخبِرَها ويَعرِفَ رَأيَها فى عَلِىّ ـ رضِىَ اللّه عنه ـ صَمتَـت فـى خَجَـلٍ وحَيـاء ، وكـانَ فـى صَمتِهــا علامَــةُ القَبــولِ والرِّضا . فخرجَ رسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ إلى ابنِ عمِّهِ عليٍّ بنِ أبى طالب ، فبشَّرَه بقَبولِها زَواجَه . كمـا أعلَن عَلى أصْحابِهِ خِطبةَ ابنَتِهِ الزَّهراء .

وكان الإمامُ عليّ ـ كرَّمَ اللّه وجهَه ـــ فقـيرًا لا يَمتَلِـكُ شَـيئا ، فطلــبَ منــهُ رَسـولُ اللّـهِ أن يَبيــعَ دِرعَـه ، لِيُجهِّــزَ العَروسَ بثَمنِها . فلمّا تَزوَّجتْ فاطِمةُ الزَّهراءُ عليَّ بنَ أبـى طالِب الفَقيرَ الّــذى لا يَمتَلـكُ شَـيْئا ، عاشَـتْ معـهُ عِيشَـةً

قاسِيَةً خشِنَة ، ليسَ فيها أىُّ نوعٍ من مُتَعِ الحَياة ، فشَعرتْ في مَنزِلِ الزَّوجيَّةِ بالحِرمان .

وذاتَ صَباحٍ ذَهبتْ إلى أَبيها رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ وقالَت له :

ـ أَهانَتْ عليكَ ابنتُك يا أبَتاه ، حتّى تُزوِّجَها من رَجُلٍ فَقير ؟

فنظرَ إليها النّبىُّ فى عَطفٍ وقالَ لها : يا فاطِمةُ لقد زَوَّجتُكِ من أعظمِ الرِّجالِ وأَفضلِهم وأكرَمِهم مَقامًا عِندَ اللّه .

وراحَ صَلواتُ اللّهِ وسَلامُه عليه ، يُعدِّدُ لابْنَتِهِ فاطِمَةَ الزَّهراء ، فضائِلَ عَلِيّ ـ كرَّمَ اللّه وجهَه ـ ودَورَه البارِزَ فى نُصرَةِ الإسْلام .

ثمَّ قالَ لها : فأىُّ امرأةٍ فى قُريشٍ لَها زَوجٌ عالِمٌ شُجاعٌ فارِس ، كزَوجِكِ عَليّ ؟

فاسْتراحتْ فاطِمـةُ الزَّهـراءُ لكَـلامِ أَبيهـا ، ورَجعـتْ إلى دارِها ووَجهُها يَفيضُ بِشرًا وأمَلا وابْتِهاجا .

وبعـدَ عـامٍ مـن زَواجِهـا أَنجبـتْ فاطِمـةُ الزَّهـراءُ الحَفيـدَ الأَوَّلَ لرَسولِ اللّه ـ صلّى اللّـهُ عليـهِ وسـلّم ـ ففَـرِحَ بـهِ فرحًا كَبيًرا ، وسمّاه الحَسَن .

ثمَّ أنجبتْ بعدَه الحَفيدَ الثّانى له فسَمّاه الحُسَين .

ثم أنجَبتْ بَعدَهما زَهرةَ بنى هاشِـم ، الزَّهـرةَ الّتـى نَنعـمُ بطيبِ شَذاها من بَيتٍ كُلُّه رَياحينُ وزُهـورٌ عطَّـرتِ الدُّنيـا جَميعا . إنّهـا السَّـيِّدةُ زَيـنَـب ، بنـتُ الإمـامِ عَلـيٍّ بـنِ أبـى طالِب ، وقد وُلِدت ـ رَضِيَ اللّه عَنها ـ فى السَّنةِ الخامِسَةِ لِلهجرَةِ النّبوِيَّة المُشرَّفَة ، بعدَ مولِدِ أَخيها الحُسَيْن بعامَيْن .

ثمَّ رُزِقَت السَّيِّدةُ فاطِمةُ الزَّهراءُ بزَهرةٍ رابعَـة ، أسَـمتْها أُمَّ كُلثوم .

وفى يومٍ كانَ رَسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ عِندَ زَوجتِهِ أُمِّ سَلَمة ـ رَضِىَ اللّه عنها ـ فدَعا عَليًّا وفاطِمَةَ والحَسَنَ والحُسَين وقال : اللّهمَّ هَؤلاءِ أهلُ بَيتى وخاصَّتى ، اللّهمَّ أَذهبْ عَنهم الرِّجسَ وطَهِّرهُم تَطهيرا .

وقد تَمتّعت فاطِمةُ الزَّهراءُ بحُبِّ أبيها ، وعبَّر رَسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ عن حُبِّهِ العَظيمِ لابْنَتِهِ فاطِمَةَ حينَ قال :

ـ خيرُ نِساءِ العالَمينَ أربَع : مَريَم ، وآسِيَة ، وخَديجَة ، وفاطِمَة .

وقد مرَّتِ السَّيِّدةُ فاطِمة ـ رَضِىَ اللّه عَنها ـ بأَحْداثٍ كَثيرَة ـ ذُكِرتْ فى السِّيرَةِ النَّبوِيَّة ـ بينَ أَفْراحٍ وأَحْزان ، منذُ وَفاةِ أمِّها خَديجَة ـ رَضِىَ اللّه عَنها ـ ثُمَّ وفاةِ أُختِها لسَّيِّدةِ رُقَيَّةَ زَوجَةِ عُثمانَ بنِ عفّان ، ثُمَّ وَفاةِ أُختِها زَينَبِ لكُبرَى ـ رَضِىَ اللّهُ عَنها فى السَّنةِ الثامِنَةِ لِلهِجْرة ، ثُمَّ

وَفاةِ أُخْتِها أُمِّ كُلْثوم ــ رَضِيَ اللّه عَنها ــ بعدَ عامٍ من وَفاةِ زَينَب ، فكانَت دائِمًا صابِرَةً مُحتَسِبة .

وعندما سَمِعتْ فاطِمةُ الزَّهراءُ بمَرضِ أبيها ــ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ــ هُرِعتْ إليه . فلمّا دَخلتْ عَليهِ وَجدتْهُ على فِراشِه ، فأخذَ بيَدِها وأجْلَسَها بجانِبه ، ثمَّ قال لَها حديثًا فبكتْ ، ثمَّ قالَ لها حَديثًا آخرَ فَضَحِكت . وظَلّت فاطِمةُ إلى جِوارِ أبيها حتّى انْتَقلَ الرَّسولُ الكَريمُ إلَى الرَّفيقِ الأَعلَى ، فبَكتْهُ في لَوعَةٍ وأَسًى بكاءً مُرّا ، وبكَى عليه عَليّ ــ رَضِيَ اللّه عنه ، كما بكَى المُسلِمونَ جَميعًا رَسولَ اللّه ــ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم .

وبعدَ وَفاةِ النَّبيّ ــ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ــ سألتْ السَّيِّدةُ عائِشةُ أُمُّ المُؤمِنين ــ رَضِيَ اللّه عنها ــ فاطِمةَ عمّا جَعلَها تَبكي ثُمَّ تَضحك ــ وقتَ أنْ كانتْ جالِسَةً بجِوارِ أَبيها ، فقالَتْ لها :

ـ قالَ لى أبى : إنَّ جبريلَ كانَ يُدارِسُنى القُرآنَ فى كلِّ سَنةٍ مرَّة ، وأنّه دارَسنى هذا العامَ مرَّتَيْن . وما أَراهُ إلاّ قد حضَرَ أَجلى .

قالتْ : فبَكيتُ أَبى . ثمَّ قال لى : وإنّكِ أوّلُ أهْلى لُحوقًا بى ، ونِعمَ السَّلفُ أنا لكِ ففَرِحْت .

واخْتفت الابْتِسامَةُ من وَجهِ السَّيِّدَةِ فاطِمةَ الزَّهراء ، ولكن بَقِيَ الإيمانُ والتّقوَى ، ووَضاءةُ العِبادَةِ تملأُ وَجهَها الطَّهورَ نورا وجَلالا ومَهابَة .

* * *

وجَلستِ الزَّهراءُ فى بَيتِها تُصلّى وتَقرأُ القُرآنَ وتَتعَبَّد ؛ وكانَ الإمامُ علىّ ـ كرَّم اللّه وجهَه ـ يُواسيها بكَلِماتِه الرَّقيقَة ، كما كانَ الحَسنُ والحُسينُ يُضيفانِ على البَيتِ عَبيرًا من رائحَةِ جَدِّهما العَظيم ، ويُدخلانِ الأُنسَ على قَلبِ الأُمِّ الحَزينَة ، الّتى واجَهتِ المَشاكلَ الكَثيرَة بعد

مَوتِ النّبِىّ ـ صلّـى اللّـهُ عليـهِ وسـلّم ـــ . ومـرَّتِ الأيّـامُ بَطيئَةً بِالزَّهراء ، ثمَّ أَحسَّتْ بِالَمرضِ يُداهِمُهـا ويَسـتَلُّ مِنهـا بَصيصَ العافِيَةِ الخافِت . وكانَ جَسدُها النّحيـلُ لا يَحتمِـلُ المَرضَ فصَبرتْ على آلامِ العِلّة ، ثمَّ أفضتْ لزَوجِها الإمـامِ عَلىٍّ بأنّها فى طَريقِها إلى الدّارِ الآخِرَة ، فبكَى طَويلا حتّـى كادَتْ عَيناهُ تَبيَضّانِ من الحُـزْن . وعلِـمَ الحَسـنُ والحُسَـينُ كَذلِك بـأنَّ أُمَّهُـمـا سـتُفارِقُ الحَيـاة . فـاغْرورَقَت أعْيُنهمـا بالدُّموع . ودارَ هَمسٌ فى المَدينَةِ بأن آخِـرَ أوْلادِ الرَّسـولِ ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ سَتلحقُ بهِ قَريبا .

وفى لَيلـةٍ مـن لَيـالى شَـهرِ رمَضـان ، اغْتَسـلتْ وصلّـت رَكعَتَين ، وفاضَت روحُها الطّاهِرةُ فى السَّـجدةِ الآَخـيرَةِ ، بعدَ وفاةِ أبيها ـ عَليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ بنَحوِ سِتّةِ أشْهُر . ويا لَها من لَحَظاتٍ نورانِيَّة فاحَت خِلالَها رَوائحُ أَزكى منَ المِسْك ، حـينَ حَمَلـتْ مَلائِكـةُ الرَّحمـةِ روحَ الزَّهـراء ،

وصَعدتْ بِها إلى السَّماء . وما هى إلا ساعَةٌ حتّى كان الإمامُ عَلىّ ـ كرَّم اللّه وجهَه ـــ قد قامَ بدَفنِها ، ورجعَ يَستقبِلُ العَزاءَ فيها .

وجدَّد مَوتُ الزَّهراءِ حزنَ الـمُسلمينَ على أبيها ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّم ـ ولبِثتِ المَدينَةُ حَزينةً حُزنًا شَديدًا على الزَّهراء ، فَترةً منَ الزَّمَن .

نساء فى الإسلام

(١) السيدة صفية رضى اللّه عنها

(٢) أم هانئ رضى اللّه عنها

(٣) أم ورقة رضى اللّه عنها

(٤) أسماء بنت يزيد رضى اللّه عنها

(٥) نسيبة بنت كعب رضى اللّه عنها

(٦) أم الدرداء رضى اللّه عنها

(٧) السيدة نفيسة رضى الل

(٨) السيدة زينب رضى ا

(٩) فاطمة بنت الخطاب رضى ا

(١٠) فاطمة الزهراء رضى ا

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

الثمن ٥٠ قرشا